النقد في كتابات هشام شرابي

Criticism in the writings Hisham Sharabi

ثابت سلطان

جامعة قسنطينة2 . عبد الحميد مهري

thabetmaxime19@gmail.com

أ.د عصام عبد الحفيظ

جامعة قسنطينة2 . عبد الحميد مهري

assam_abdelhafid@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 18 /2018/07 تاريخ القبول: 06 /2019/03

«ومثلما نعتقد بأنّ الناقد لا يحمل صولجان الحكم العتيد، كذلك لا نتّفق مع مونتيسكيو بأنّ النّقاد جنرالات فاشلون عجزوا عن الاستيلاء على بلد ما فلوّثوا مياهه»[1].

ملخص:

نتناول في هذا المقال الجانب النقدي في المشروع الفكري التجديدي عند المفكر الفلسطيني "هشام شرابي"، من خلال ما حملته كتاباته وأعماله الفكرية طوال عقود من الزمن من رؤية نقدية بارزة، والتي تناولت أساس معضلات الواقع العربي خاصة بعد نكبة 1967وما تلتها من هزائم وانكسارات حضارية حسبه، هذا النوع من الرؤية النقدية تركزت –ومن خلال تتبعنا لهذه الكتابات- على منطلقات منهجية ومفاهيمية مدروسة من قِبله، تنوعت بين

تحليل نفسي جمعي أو جماعي للظواهر المتحكمة بالمجتمع العربي ورؤية تفسيرية جدلية للتحولات التي عرفها ولا يزال يعرفها هذا المجتمع، مُستنتج من خلال مقاربته الفرويدية/ الماركسية هذه أنّ النظام الأبوي أو البطركي هو المكرِّس لقيم التخلّف والارتِكاس في المجتمعات العربية، وللوصول إلى حداثة حقيقية كان لزاما نقد وتفكيك وإعادة هيكلة هذا النظام المتأصل فيها، وذلك لا يأتي إلا عن طريق رؤية جديدة نحو المرأة وتكريس دور إيجابي وفاعل للمثقف العربي وبناء نظرة جديدة خلّاقة بيننا وبين الآخر (الغرب).

الكلمات المفتاحية:هشام شرابي؛ النقد؛ النقد الحضاري؛ النظام الأبوي.

Summary :

We deal in this article the sidecritic in the monetaryprojectintellectualregenerativeaPalestinianthinker"HishamSharabi"Thoughtwhatisthe containshisintellectualworks Witchshehandledbasicallyproblems life ,mainlytreated in thiskind of criticismproblems and reasons of the backwardness of the Arab society, especiallyafter the "1967 defeat" and whathappened of defeat ,Using curriculum special mix between arguments Marxistideology and concepts analyticalschool of Freud, Establish by this curriculum approachspecialisFreud-Marxism, Moving in the first stage incorporation thesestatements and concepts insidehistheoreticalthoughtthem in the second phase embodimentrealisticapproaches of thisquoteswithin the currentArab reality ,Concludes of thisapproach the "Patriarchal system"extendedinside the Arab society inspect , and to get the real noveltywebedismantledthis system begiving a new role to women and the Arabintellectual and establishment a positive vision between us and the other (west).

Keywords :HishamSharabi Critisism , Civilizational Criticism , Patriarchal system.

المرسل : ثابت سلطان ،thabetmaxime19@gmail.com

مقدمة:

يتميّز مشروع "هشام شرابي" (1927- 2005) النظري برمّته من خلال كتاباته حول واقع المجتمع والتحدي الحضاري العربي بأنه يستند أساسا إلى النقد، فكل كتاباته ومؤلفاته لا تخلو من مصطلح النقد إما لفظةً أو مفهوما، وكون أنّ مشروعه في التجديد وتفكيك وإعادة بناء الواقع الفكري والحضاري للإنسان العربي يتميّز بخاصية التحليل والنقد، فإنه في كثير من الأحيان نلمس خروجا غير مسبوق عن إطار الصيغ والاتجاهات التقليدية داخل أروقة الفكر العربي المعروفة، وأبرز دليل على هذا القول هو معالجته وتحليله الجديد والثوري لهذا الواقع العربي المتأزم ثقافيا، وسياسيا، واقتصاديا، وانفراده بفكرة فريدة من نوعها مقارنة بباقي المفكرين والمثقفين العرب، وهي فكرة "النظام الأبوي" أو "البطركية"، هذه الأخيرة في تقديره هي المقولة المركزية في تحليلاته ونقده، فهو دائما يربط بينها وبين أركان وأمهات القضايا الفلسفية في الفكر العربي، كقضايا التراث والحداثة، فنجد مثلا مقولة الحداثة عنده ناجمة عن ضرورة اجتماعية وسياسية مطروحة في الواقع الاجتماعي والسياسي والحضاري، ولذا فإنّ مجالها الأساسي هو التاريخ بمعناه الايجابي، والثقافة والحضارة بمعناها الانساني.

ومن هنا يتّضح لنا غياب التعارضات والتناقضات والتقابلات في تحليلات شرابي والتي أَلِفها الفكر العربي المعاصر، ليحضر التحليل النقدي الاجتماعي والحضاري والثقافي. واستناداإلى هذا فإنّه حاول تحليل وتشخيص الواقع العربي وليست النظريات لعربية أو الغربية. ولهذا فإنّه يشكّل ظاهرة فكرية قلّما وصل إليها مفكر عربي، ليس لمركزه الأكاديمي المرموق ونشاطه

السياسي النضالي الفاعل فحسب ولكن بسبب إعادة ربط فكره بقضايا مجتمعه العربي ومحاولة تحليل وضع هذا المجتمع وتقديم حلول لمشاكله بنظرة نقدية فاحصة، تفكّك وتقيّد بناء هذه المشكلات وتصوغ حلولا جذرية لها ، والإشكال المطروح هنا هو كيف يمكن قراءة المقولات والمفاهيم النقدية في فكر هشام شرابي وكيف وظفها داخل سياق نهج النقد الحضاري الذي تبناه؟ وما الفارق الذي يمكن أن نستشفه بين رؤيته النقدية و الخطاب النقدي لدى نظرائه من المفكرين والنقاد العرب؟

أولا: في المرجع والمنهج:

يلاحظ القارئ والمتتبّع لكتابات "هشام شرابي" بوضوح ذلك التعدد والانفتاح في المراجع والمصادر التي يحيل إليها ويستشيرها، سواء لفاعلي ومفكّري الفكر الغربي أو العربي على حد السواء، ففي مقالاته وكتبه تحضر مختلف الأسماء الفلسفية والأدبية، الكبرى منها والأقل منها ثقلا –إن صحّ هذا التعبير- كنيتشه وهايدغر، وكيركغارد، كارل ماركس (1818-1883)، وفرويد (1856-1939) في الفكر الغربي، ميخائيل نعيمة (1889-1988)، أنطوان سعادة (1904-1949)، نوال السعداوي في الفكر العربي. والقول بهذه الخاصية الفريدة في التعدد والانفتاح في كتاباته يوضح لنا أن "شرابي" مفكر مغاير، ومثقف مخالف، مثالي مادي، وجودي ماركسي فرويدي حداثي مستقبلي فلسطيني عربي إنساني، فقد تداخلت في فكره المثالية المتعالية في مرحلة مبكّرة مع الوجودية المؤمنة وارتبطت فيها الانسانية المتمردة مع الجدلية الاجتماعية[2].

إنّ البحث في المرجعية الفكرية لـ "شرابي" يضعنا أمام تبيان الشرط الذاتي المعرفي والعملي لعملية النقد الحضاري (باعتبار هذا الأخير جوهر

مشروع وفكر شرابي) انطلاقا من التجربة الخاصة لهذا المفكر، ودراسة الخلفية الفكرية والاجتماعية والسياسية للإلمام بشروط وقفت وراء مبادئه وتفكيره، فالحضور الأبوي والحضور الأنثوي المتمثّل في والدته وجدّته أساسا، والانتماء والوعي الطبقي، فهو الذي كان فردا من عائلة أرستقراطية إضافة إلى شروط ومعطيات التربية والتعليم الأكاديمي الذي عايشه في مرحلة طفولته وشبابه في الجامعة الأمريكية ببيروت، وصولا إلى انخراطه بالحزب القومي السوري بزعامة الثائر اليساري "أنطوان سعادة" في الأربعينيات من القرن الماضي وتشبّعه بأيديولوجيا القومية العربية، كلها خلفيات وعوامل أثّرت واغنت فكره وإنتاجه الفلسفي النقدي في أساسه، فإذا كان "شرابي" لا يرى في الأطروحات النظرية المجردة وسيلة لمجابهة الأزمات والانتصارات في معركة التغيير والتحرر، فلا يمكن الحديث عنها كمرجعية فكرية له، فـ "شرابي" مفكر التغيير الاجتماعي حاول قطع الصلة ببنية بطركية لمسها في واقعه وانتقدها. لهذا فإنّ ما ذُكر آنفا من شخصيات سواء التي قرأ عنها أو عايشها واقعيا (ميخائيل نعيمة وأنطوان سعادة) نقلته من نمط الممارسة التلقائية إلى نمط الممارسة العقلانية الواقعية واختياراتها، فتكونت لديه الأطر الفكرية التي انتجت رؤى تحليلية للواقع وأساليب نقده وتغييره، فتنوع المرجعيات إذن خلّف لديه تنوعا وتعددا في كتاباته المتضمّنة لفلسفة متشابكة، تتداخل فيها مثاليته المبكرة مع وجوديته المؤمنة، وارتبطت مواقفه الرافضة مع الجدلية الاجتماعية إلى جانب ربطه للفكر بالواقع، الفلسفة بالتاريخ، الأنا بالمجتمع، ما خلق صعوبة في حصر شرابي في زاوية واحدة من الكتابة، إلا أنه ما يُتّفق عليه ويُجمع عليه دارسيه أنّه: "باحث أكاديمي ومناضل يحمل رؤية إيديولوجية، وفيلسوف تاريخ يستشرف المستقبل متيقنا كمفكر ومناضل أنّ التاريخ يحقق

نفسه من خلال الشعوب والجماهير لا من خلال المفكرين والمثقفين والقادة"[3].

ولهذا فإنّ من يتابع أعمال "شرابي" يكتشف أنه "مفكر منهجي" بامتياز، فإضافة إلى وقوعه في هوى الفلسفة المثالية والوجودية في مرحلة مبكرة من حياته الفكرية، تأثر بالفكر القومي الاجتماعي الذي يؤمن بالحياة والمجتمع وينطلق من اليقظة والنهضة، "كما مزج بين الفلسفة الانسانية في مرحلة ثانية من حياته (مرحلة الماجستير في الولايات المتحدة الأمريكية) وبين دراسة القيم والتاريخ الحضاري وفلسفة التاريخ. وصولا في مرحلة ثالثة إلى جمع تحليلاته بين المنهج الجدلي الماركسي الاجتماعي والتحليلي النفسي الفرويدي واللّذين وظّفهما لدراسة قضايا ومشكلات المجتمع والإنسان العربي"[4].

إلا أنه وعلى الرغم من تعرّفه على هذه المذاهب الفلسفية وما تدعوا إليه من أفكار فإنه:"حاول توظيف رؤية نقدية تحليلية فريدة خاصة به لبنية المجتمع العربي في تطوره التاريخي و واقعه المعاصر"[5]، هذه الرؤية امتزجت بين "المنهج الجدلي الماركسي والاجتماعي التاريخي" و "التحليلي النفسي الفرويدي" ، وبهذا يكون "شرابي" باعتبار تشعّب وتنوع وتعقيد المواضيع التي كرّس فكره لمعالجتها ونقصد هنا المجتمع والحداثة والتحدي الحضاري العربي، قد استعمل مناهج وآليات ووسائل منهجية مختلفة ترتبط أحيانا بتحليلات المدرسة الاجتماعية النقدية (بارت وماكس فيبر) والمعطيات النفسية لمدرسة التحليل النفسي (رايخ (1897-1957) وفرويد) ممزوجة بشكل فريد مع الآراء النقدية والجدل الهيغلي لمدرسة فرانكفورت والهيغليين الشباب (كارل ماركس).

ومن الخصائص العامة التي يتصف بها "النصّ الشرابي" قدرته على طرح الأسئلة الملحّة وخلق الوضعيات الإشكالية، ففي كتابيه «النظام الأبوي

وإشكالية تخلف المجتمع العربي» و«مقدمات لدراسة المجتمع العربي» نلتمس قدرة منه على مسائلة الأزمة أو ملامسة المعاناة باعتبارها أحد الشروط أو المحددات الضرورية للمشروع الفلسفي، لأنها تعبّر عن فعاليته، فالمسائلة تعبير عن انتقال الوعي إلى وعي ذاته ومن ثمّ إمكانية تحديد الحلول وإحداث التجاوز لمختلف العوائق، فخروج "شرابي" عن عباءة التفكير المجرد في التراث وانتقاله إلى جعل التراث ذاته وسيلة في عملية النقد والنقض، وفي عملية الهدم والبناء هي في الواقع انعكاس لِما آمن به وعمل على ترجمته في كتاباته حول "أنّ المفكر الناقد الفاعل لم يعد مسحورا بالمقولات المجردة والمفاهيم المنقولة من الخارج والمستمدة من تراث لم يتم تقييمه وأصبح قادرا على التعامل مع الواقع الراهن كما يراه هو بالعين المجردة ويلمسه بقبضة اليد"[(6)].

ثانيا: في المفاهيم والمجالات:

حمل الخطاب النقدي في كتابات "شرابي" جهازا مفاهميا ثريا وفريدا ميّزه عن باقي الكتابات النقدية للمفكرين العرب، وحين كان «المخزون المفاهيمي» من الأركان الضرورية في أي مشروع فكري أو نقدي، كون أنّ توفره يعني بالضرورة حضور التميز والأصالة لهذا المشروع، ولكون أنّ الفلسفة أساسا صناعة وإبداع للمفاهيم، هذا الشرط نجده حاضرا بصفة جلية في مشروع "شرابي" النقدي، فحين نتفحّص كتاباته من مقالات وكتب نجد العديد من المصطلحات والتراكيب والمفاهيم الجديدة التي لا نجدها في كتابات أخرى أهمها على الإطلاق فكرة أو مفهوم النظام الأبوي أو النظام البطركي Patriarchy، إضافة لمفاهيم التحدي الحضاري، ولغة النقد الحضاري، نقد النظام الأبوي المستحدث، الأبوية التقليدية والأبوية المستحدثة، الحداثة

المشوهة، تحديث أو تجديد التخلف، اللغة الأبوية الفصحى، التاريخ الداخلي...إلخ، ومن التراكيب المتميزة نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "لا بد لقيم العقل الناقد أن تجابه القيم السلطوية وتكون هي نقيضها"[7]، "فقدان الشعور بماهية ذاتية واضحة، تعودنا أن نستمع وأن نتفرّج، لا أن نفهم ونحلل ونفكّر"[8]، "لماذا يكون بقدرة أهل فيتنام محاربة أمريكا وليس بمقدرتنا محاربة قبضة من الصهاينة، بدون حرب لن نسترجع شيئا"[9]...

من الصعوبة بمكان الحكم على القدرة التفسيرية أو التعبيرية لهذا الكم من المفاهيم والتراكيب، والتي هي في الغالب تدخل ضمن إطار يغلب عليه التوجه النقدي والمناهض للواقع المعيش والفكر القائم، ولهذا كان لكلّ مفهوم سياقه ولا يمكن فهمه إلا داخل الاطار الذي وُظّف فيه، والحديث عن مسألة الموضوع أو القضايا التي طرحها "شرابي" وحللها يترك انطباعا بتنوع هذه القضايا والطابع الشمولي العربي لها، فقد تناول مسائل بنية المجتمع العربي، وأسباب تخلفه، والثقافة والمثقف العربيين، والحداثة، واللغة وقضايا المرأة العربية والقضية الفلسطينية التي كانت هاجسا لم يفارق المثقفين العرب خصوصا بعد نكسة حزيران/يونيو 1967، وما يربط كل هذه القضايا ببعضها أو العنصر المشترك بينها هو النقد، باعتباره أداة منهجية لا تخلو منها أية دراسة من دراسات" شرابي" وكما عنون إحدى كتبه بالنقد الحضاري للمجتمع العربي فنقول نسجا على منواله النقد سمة الكتابة عند "شرابي".

فحضور النقد كأداة منهجية في فكر و كتابات "هشام شرابي" تعني نقطتين مهمتين:

1/الإحاطة الكاملة والتحكم الجيد في الموضوع المدروس والإلمام التام بتفاصيله وخباياه، فخطاب "شرابي" النقدي من حيث الموضوع ينطلق من فهم عميق للحيثيات والعلل والنتائج، مستندا إلى الجدل الماركسي والمادية

الجدلية في تفسير الظواهر، فنجده تكلم عن صراع الطبقات والوعي الطبقي ودوره في رسم أيديولوجيات المثقف العربي، وحلل مفاهيم الأيديولوجيا والقيم والتخلف والهزيمة والاتكالية والعجز بشكل يتعدى التفسيرات السطحية لبعض المفكرين العرب، إنما تغلغل في تفسيرها النفسي التحليلي واللاشعوري.

2/التمكّن والقدرة على إحداث مسافة مناسبة بين القارئ والمقروء، وهذا من سمة الفكر والفلسفة المعاصرة "لأن الفلسفة هي النص القارئ وما عداها هو النص المقروء"[(10)]، هذه المسافة هي التي من شأنها إصباغ صفة الموضوعية على أي مفكر، والقارئ لـ "شرابي" يقف على وجود هذه المسافة سواء في نقده للواقع السياسي والاقتصادي والثقافي العربي، أو في نقده لعوامل ومسببات هذا التخلف المرير والانهزام والانتكاس لبنى هذا المجتمع الفردية والجماعية: "فالنقد ضرورة تحتاجها حياتنا الاجتماعية والثقافية حاجتها إلى الخبز والحرية تقريبا، إذ لابد من إصلاح ما وإلا ستختنق مخلوقات هذا المستنقع الراكد"[(11)].

فبالرغم من أنه لم يستخدم مصطلحات رائجة في تعريف المجتمع العربي ولم يخضع تعريفه لنمط إنتاج سائد، إلا أنه تمكن من صياغة مفهوم واضح لأركان هذا التعريف، فمثلا هو يرفض استخدام مفهوم «الطبقة» في تحليله لواقع الاجتماع العربي، ولم يتبنّ تعريفا استعماريا لنظام الاجتماع أو المجتمع العربي بأنه نظام جامد لا يخضع لحراك أو تغير وفق مقولة «الاستبداد الشرقي» التي استخدمها "ماكس فيبر"، كما أنه "لا يتوافق مع مقولة «البنية المطاطية القائمة على التناقض لنظام الاجتماع العربي» لـ "كلود ليفي ستراوس" (1908-2009) والتي وردت في دراسة له حول المجتمع العربي نُشرت عام 1959 في معهد الدراسات الاجتماعية بنيويورك ، هذه المقولة التي

صاغها شرابي بناءً لتحليله لمقولة "«أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمّي على الغريب» والتي تحفظ استقلالية الفرد وتعتبره الوحدة الأساسية في البناء الاجتماعي العربي في كل مرة يتم فيها إعادة ترتيب هذه البنية الاجتماعية العربية التي تقوم على التناقض الداخلي بين عناصرها المكونة وليس على التعاون والتعاضد"[12].

وما يُحسب أيضا لـ "شرابي" هو تجربته الفريدة في الرواية، وكيف حملت ذلك البُعد النقدي إما على مستوى المصطلحات التي تضمنتها هذه الروايات، وإما على مستوى التفسير النقدي الحديث للمعرفة، والتي يؤكد من خلالها أنّ الحقيقة التاريخية صعبة المنال لا تحكمها متغيرات الزمان والمكان بل طبيعتها اللغوية تكشف أنّ قوانين اللغة والتعبير تتحكم فيها أيضا، فهي تعبير عن واقع وتجربة يحياها الكاتب، لذلك نجده قد أرّخ لثورة فلسطين وأماط اللثام عن أخطاء مصيرية لقادتها وفاعليها في رواية «الرحلة الأخيرة».

كما حملت رواية «صور الماضي: سيرة ذاتية» مفاهيم نقدية جريئة مسّت حتى شخصه في حد ذاته، والبناء الأسري وشبكة العلاقات المتحكمة في المجتمع العربي والتي عايشها ويعايشها أي مواطن عربي اخر، ودافع الاغتراب والمقاومة والهروب وغيرها. فالرواية إذن عنده نقد، انتقل بها من الكتابة العامة إلى الكتابة الموجّهة نحو فئة خاصة المثقفين والقارئين الذين يعون ويفهمون جيدا رسائل التمرد الفكري والثورة على الواقع المرير والشنيع للمجتمعات العربية، ممتزجة بين سرد الوقائع أو ما يسميه بـ «روائية التاريخ» وتفسيرات نقدية مُعلنة أحيانا ومضمرة أحيانا اخرى، "كل شيء حوله أصبح ساكنًا إلا وقع المطر فوق أرض الشرفة، توقف الزمن وحضر العالم في هذه اللحظة من الصفاء، وإنما الخطر والفراق يجلبان الحضور، أما الأمن

والاستقرار فيأتيان بالنوم والغياب (...) سيأتي الوقت الذي لا تعود تُدعس فيه رِقاب في بلادنا"[13]، "يحقّ للأغنياء النوم ملء أجفانهم"[14].

ومما سبق فإننا نلاحظ أنّ "شرابي" يصوغ مكونات خطابه النقدي بعبارات محدودة وواضحة بالرغم من ذلك، فالفكر النقدي الصحيح كما يتصوره هو لا يقوم إلا على الحرية والمساواة، ويطرح الديمقراطية على صعيد الفكر وعلى صعيد الممارسة السياسية والاجتماعية في آن، فهو فكر جامع لا يتبنى نظرية واحدة، ولا مفهوما واحدا، أبعاده تختلف على حسب الموضوع المُراد نقده والخوض فيه.

ثالثا: استراتيجية النقد لدى شرابي بين التنظير والممارسة:

من هذا المنطلق يتبنى "هشام شرابي" النقد كاستراتيجية منهجية في مختلف كتاباته وأعماله، إما على مستوى تحليل الوضع العربي بكل تفاصيله، أو على مستوى الممارسة داخل الحقل الفكري لهذا الوضع المتأزم، المتميز بالوهن الحضاري والتخلف على مختلف الأصعدة. والقول بالاستراتيجية النقدية عنده هي ذلك الإطار الفكري الذي يوجه عملية التغيير في المجتمع والذي أوكلت إليه عملية تصوير الواقع العربي عند "شرابي"، وكان منطلقه مقدمات لدراسة المجتمع العربي ومظاهر تخلفه "تتناول هذه الدراسات مجتمعنا وشخصيتنا الاجتماعية بتحليل نقدي قد يبدو أحيانا عنيفا"[15]، عنف هذه الدراسات توطّده عملية النقد، التي تهدف إلى تعرية وتفكيك البنى الثقافية والسياسية والاجتماعية، وكشف عجزها ولاعقلانيتها إحلالا للبديل، فعن طريق الوعي النقدي يواجه الانسان العربي التحدي الحضاري، ومن هنا

نقد المجتمع العربي تبلور لاحقا في تصور منهجي أطلق عليه "شرابي" «النقد الحضاري».

1/النظام الأبوي: السلطة والهيمنة والتبعية

قدّم "هشام شرابي" في كتابه «مقدمات لدراسة المجتمع العربي» قراءة تفصيلية لكيفية التعامل مع قيم وأنماط المجتمع الأبوي، القائم على أساس العائلة الأبوية التي تؤسس البنى النفسية، فالعلاقات الاجتماعية التي تؤكد علاقة الهيمنة الأبوية السائدة خاصة سلطة الأب، رمز كل سلطة عنده. فالنظام الأبوي أو البنية البطركية يعرفها "شرابي" بقوله: «يواجه مفهوم المجتمع البطركي الحديث خطر الاختزال، إنه مفهوم ذو أوجه واستعمالات عديدة. يتحدد كلّ منها بسياق نوعي، فهو في أن مقولة تحليلية ونوع أو نموذج مجرد، ومبدأ تفسيري، ونظرية مكتملة. وهو يشير على حد سواء إلى البنى الاجتماعية الكلية (المجتمع، الدولة، الاقتصاد) والبنى الاجتماعية الجزئية (العائلة أو الشخصية الفردية)، وهكذا فإنّ ظاهرة المجتمع البطركي الحديث تشتق معناها من مفهومين، يكونانها وهما الحداثة والنظام البطركي»[16].

هذه الأبوية نجدها تكمن في سلوك الفرد الذكوري القائم على سحق الأنثى والطفل والاتكالية والعجز والتهرب، وبالطبع كان مُنطلقه الأساس هو أن العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيسي في شخصية الفرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وأن شخصيته تكون ضمن العائلة وبالتالي فإنّ قيم وأنماط السلوك تنتقل فيه إلى حد كبير من خلال العائلة، ويظهر أن المنهج الذي يستخدمه "شرابي" هنا هو التحليل النفسي الفرويدي بالإضافة إلى المنهج الاجتماعي في فكرته بأن "أشد عداء يشعر به الطفل الذكر هو تجاه أبيه مصدر السلطة التي تحطمه وتجعل العائلة تعيش في جو من الطغيان"[17]. إنّ الواقع الذي يجابه الطفل في العائلة هو واقع سلطوي، فنظام العائلة كنظام

المجتمع في كل مؤسساته نظام هرمي يقوم على السلطة والعنف. "وتتميز تربية الطفل في العائلة السلطوية بالعنف والقهر المستمرين ويكون التصرف نحو الطفل تصرف في غالبه سلبيا بحيث ينتقل الدور المسيطر للأب نحو الطفل فينمي فيه الشخصية السلطوية التي تتميز بخضوعها للسلطة وفي نفس الوقت تعاليها على من هم دونها وبنزعتها المحافظة"[18].

تكتمل صورة السلطة في تحليل "شرابي" في كتابه «النظام الأبوي» بداية من سلطة الأب التي تهيمن على العائلة وعلى سلوك الفرد في علاقاته الاجتماعية، وصولا إلى النظام الأبوي المستحدث من خلال السلطة القائمة فيه وفي بناه المختلفة داخل الدولة، وتكمن أهمية تحليل العائلة الأبوية لدى "شرابي" في فهم البنى الأبوية المستحدثة في علاقاتها الداخلية خاصة منها علاقات السلطة والهيمنة والتبعية، وهذه كلها تعكس لبنية العلاقات الاجتماعية وتنعكس فيها، وتهدف هذه الرواية التحليلية إلى بيان الصور المتعددة للسلطة الظاهرة والخفية التقليدية الكامنة في العلاقات الأبوية وما يهدف إليه "شرابي" هو بيان "أنّ السلطة لا توجد في أشكالها المرئية والتقليدية فقط، بل إنها قائمة ضمنها ومنتشرة في شبكة علاقات تُمحى فيها الفاعلية الذاتية وتتجسد في أنماط فكرية وممارسات اجتماعية محددة"[19].

ومن هنا فقد دأب "شرابي" على نقد الآليات الاستبدادية الأبوية التي تتحكم بالمجتمع العربي وقدّم آراءً وحلولا لتجاوز الأدوار السلبية لهذه الآليات بأن قام بنقد الثقافة الأبوية المهيمنة ولغته من منطلق أن اللغة والفكر هما انعكاس للواقع الثقافي والاجتماعي والنفسي، هذه الهيمنة الأبوية ساهمت في إرساء مجتمع أبوي عربي عجز عن أن يتوصل إلى تحقيق الحداثة بمعناها الأصيل وهو الآن يعيش في ظل خطابين هما: خطاب الحقيقة الشاملة الكلية

وخطاب الحقيقة الحداثية المحددة، لكنه عاجز عن التعامل مع أي منهما بشكل عقلاني منظم، وغير قادر على ترسيخ علاقته بالماضي أو بالواقع وهو ليس مجتمعا تقليديا بالمعنى المعروف، بل هو متناقض تحكمه المتناقضات على صعيد الحياة اليومية أو على صعيد الفكر: "ففي نفس الوقت الذي يتحدث فيه الخطاب العربي المهيمن عن الحرية والتحديث يكون غارقا في القمع والتخلف، وحين ينادي بالمبادئ السامية والحقوق الانسانية يُناقض بممارساته كل القيم الأخلاقية وكل حقوق المواطن والإنسان"[20].

هذا المجتمع يصفه "شرابي" بأنه مجتمع «نيوبطركي» لا هو بالحديث ولا هو بالتقليدي، فهو إذن يعيش حداثة مشوهة، فهو: "يجمع بين الحديث والقديم ليربط ويصنع بنية اجتماعية جديدة منسجمة مع سِماته. ومع حقيقة أنه مجتمع تابع ويعيش أزمة التحول في ظل الهيمنة الخارجية سياسيا واقتصاديا وحضاريا، وحداثته حداثة ناقصة، كما أنّ طبيعته المحافظة تجعله يرفض التغيير ويقاومه ولا يقبل به إلا أذا فُرض عليه من الخارج"[21].

إنّ الوعي النقدي لابد أن يقود إلى ثورة شاملة لمواجهة تخلف بنيوي شامل، "ومن هنا وجدنا شرابي ينعطف باتجاه البحث في تلك البنية ومجالاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية عندما طرح مفهوم ومصطلح النظام الأبوي أو البنية البطركية"[22]، وهو المفهوم الذي يستخدمه كإطار تحليلي لتوصيف وتحليل مشكلات التحديث في مجتمعاتنا، ويمكن القول أنّ محاولته صياغة نظرية عن أسباب التخلف ومحاولة نقدها لا تقتصر على التنشئة الاجتماعية، يُعدّ دليلا على أن "شرابي" اكتشف أنّ الأزمة ليست محصورة في جانب واحد فقط وتركيزه في كتابه «مقدمات لدراسة المجتمع العربي» على مشكلات التربية والتعليم والطفولة كانت اندفاعا في زاوية محدودة وعمل فيه على بُعد واحد وليس على كلّ الأبعاد توخيا للدقة والعمق في الطرح، محاولا عبرها أو من

خلالها الدعوة إلى ضرورة تفكيك الخطاب الأبوي السلطوي السائد وإقامة خطاب جديد يساهم فيه الرجل والمرأة معا. ومنه فإننا أمام نوع من الوعي الناقد الذي يحاول كشف القوى المسيطرة في المجتمع، يرفض الأبوية ويكشف علاقاتها القائمة على السلطة والهيمنة وما ستتبعها من انفصامات اجتماعية وسياسية وفكرية.

2/النقد الحضاري لواقع المجتمع العربي:

لقد كانت تجربة "شرابي" «الإغترابية» في الولايات المتحدة الأمريكية دور بارز في اتّضاح رؤيته النقدية حول ضرورة أو مفهوم النقد الحضاري للواقع الاجتماعي العربي. فإقامته وتدريسه في الجامعات الأمريكية جعلته يعيش "صدمة الحضارية على المستوى الشخصي"، فيقف "شرابي" مهتما بالمستقبل العربي المرتبط بمقولات معرفة الواقع وضرورة تغييره مستندا على انتاجات وأفكار التيار العلماني العربي في مواجهة التيار الديني الأصولي، منها في كتابه «النقد الحضاري للمجتمع العربي» إلى ظهور أصولية من نوع آخر هي الأصولية العلمانية. وعليه فإنّ "شرابي" حاول من خلال النقد الحضاري هذا أن ينتقل بالمجتمع العربي نحو إقامة أسس وعي جديد ونقطة انطلاق جديدة له، "وعليه تكون مهمتنا في المرحلة الراهنة نقدية بالدرجة الأولى، وذلك من خلال ممارسة النقد الحضاري على ما يسميه شرابي بالنظام الأبوي، الذي لا يقتصر على ميدان معين، بل يشمل كل المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها"[23].

وباختصار يمكن تصنيف أركان هذا النوع من النقد الذي يمارسه "شرابي" على الناحية الحضارية للمجتمع العربي إلى نقطتين هما:

أ-الحداثة: ومعناها عند "شرابي" هي: "عقلنة الحضارة وعلمنة المجتمع" وهما قطبان ضروريان لإقامة حداثة «غير مشوهة» كما هو قائم لدى المجتمع العربي، "هذه الحداثة العربية الغير مكتملة الأركان، كرّست خطابا نقديا عربيا لازال يراوح إشكالية الحداثة الأولية ومتغذّيا بمقولاتالخطاب البطركي، على عكس الفكر الغربي الذي غادر بأسئلته النقدية صوب ما بعد الحداثة"[24]، والمنشود من هذا النقد الحضاري هو الانتقال من النظام الأبوي إلى الحداثة على صعيد الدولة والاقتصاد والحضارة والفكر.

ب-تغيير معرفة الواقع أو عقلانية الفكر: وجوهر هذه الفكرة لديه هي رفض مقولات الكلية والشمولية في أي خطاب حتى ولو كان علما أو اشتراكيا-ثوريا، "والحال أن مقولة التغيير الاجتماعي التي يحمل شرابي لوائها وجوهرها تغيير معرفة الواقع أو إدراكه من خلال مقولات جديدة تتطلب معرفة من نوع آخر للذات أسيرة انتاجها مرة أخرى للمعرفة الغربية لها"[25].

يُعتبر النقد الحضاري الذي مارسه "شرابي" لمجتمعاتنا العربية نوع من النقد الشامل والجذري، والذي يتناول المشكلات من جذورها، ينطلق من نقد ذاتي لأوهامنا وايديولوجياتنا وبالتالي كشف ما يعتريها من مغالطات وتزييف "فالأيديولوجيات الثورية حسبه لم تُفرِخ سوى ايديولوجية الحزب الواحد، والأيديولوجيات الأصولية لم تُفرخ سوى فكر غيبي ضارب في جذور الأساطير والخرافات"[26].

3/النقد النسوي كمآل للتغيير الحضاري:

كان "شرابي" ومنذ بدايات اهتماماته البحثية الخاصة بدراسة المجتمع العربي كان من الداعين إلى تحرير المرأة، هذا التحرير الذي يتوخّى من خلاله الوصول إلى تحرير المجتمع العربي ككل. ولم يكتفِ "شرابي" بدعوته لهذا

التحرير برفع الشعارات على غرار ما فعله غالبية المفكرين والمثقفين العرب الذين –كما يقول-: «مازالوا غرباء عن الفكر النسائي، ولا يتفهمون لغته أو حتى مقولاته الأولية»[27]، فلقد انكبّ أولا على قراءات طويلة ومهمة في النقد النسائي. هذه القراءات هي التي حوّلت تفهمه لقضية تحرير المرأة من اعتقاد أن هذا التحرير سيشكل وسيلة تساعد في نهوض المجتمع العربي إلى إيمان أنّ لا نهوضًا للمجتمع إلا من خلاله، ولهذا جاءت دعوته للتفكير بوسائل تحويل هذه القضية إلى قضية سياسية يعمل بها على المستوى القومي، وهذا التحرر الذي دعا إليهحاول أولا رصد مسيرته تاريخيا ثم عمد إلى عرض العديد من قضاياه، من خلال آراء عدد من رائدات العمل النسائي العربي كـ "نوال السعداوي" و"خالدة سعيد" و"فاطمة المرنيسي" (1904-2015).

إذن لا يمكن اعتبار قضية المرأة عموما عند "شرابي" سوى إحدى الحركات الاجتماعية الساعية إلى إعادة التوازن إلى بنية مجتمعية طوّعت المرأة لصالح ثقافة أبوية قائمة، وبالتالي "فإنّ الرؤية التي تناول "شرابي" من خلالها قضية المرأة تعتمد على فكرة أنّ المرأة موضوع مركزي في النقد الحضاري"[28]، وكشف تاريخ المرأة في النظام الأبوي التقليدي والمستحدث يؤدي إلى "فهم الواقع وتاريخه ويكشف عن حقيقته الظاهرة والخفية ويخطط أساليب ومتطلبات تجاوزه راسما الخريطة الفكرية التي تضيء سبل الفكر والممارسة معًا"[29]، ولعل التحول الذي نلاحظه على طرحه لقضية المرأة ينمّ عن هذه السبل التي اتّضحت أثناء تناوله المرأة كنموذج للكتب والقمع في المجتمع العربي، إذ طرح قضية تحريرها في شكل منوّه لقدرتها واستطاعتها على تجاوز التهميش والإقصاء في كتابه «مقدمات لدراسة المجتمع العربي» ليحوّل الطرح

لشكل أكثر عمومية ومركزية مع كتابه «النقد الحضاري للمجتمع العربي» مستعملا مصطلحات مغايرة كالنقد النسائي والإشكالية النسائية وغيرها.

إنّ متتاليات التخلّف عندنا تضع المرأة رغم دورها في إعداد الأجيال وتربيتهم في حالة كبيرة من التهميش اجتماعيا وثقافيا، وهي الحلقة الأضعف في الخطاب الثقافي العربي بسبب هيمنة الخطاب الذكوري الإلغائي الموجّه أساسا ضد المرأة، وبالتالي فإنّ واقع المرأة ودورها في نظام العائلة يقابله تهميش واضح في الخطاب الثقافي وتعمق هذه الحالة أزمة النقد وتجعله ناقصا وقاصرا حسب "شرابي"، ويعيب "شرابي" علينا أنّ واحدة من دلائل التخلف العميقة في مجتمعنا هي اقتصار الحركة النسائية على النساء، وهذا ما يؤكد على أن موضوع المرأة مازال بالنسبة للمثقفين والنقاد (الرجال) موضوعا ثانويا، لكن الملفت للانتباه أن الحركة النقدية ليس لديها ما تقوله حول مشكلة المرأة في المجتمع سوى بعض الشعارات، في الوقت الذي تتولّى فيه الحركات الإسلامية الأصولية اهتماما أكبر بموضوع المرأة –وهنا المفارقة!- معلنة أن الشريعة تحمي حقوق المرأة وتمنحها هامشا لا بأس به من الحرية،

ومنه تنبثق أهمية الخطاب النسوي الجديد في مواجهة السلطة الأبوية وكشف زيف الادّعاء الأصولي الذي مارس اضطهادًا تاريخيا ضد المرأة. والأسلوب العملي لهذه المواجهة يبدأ بالعمل على تذويب السلطة الأبوية من الداخل وتفكيك الخطاب الأبوي كون أن هذا النوع من الوعي الأبوي يدّعي حماية حقوق المرأة وعنايته بحريتها هي تمويه حقيقي بالنسبة لـ "شرابي"، وبالتالي فإنّ تحرير المرأة هو تحرير المجتمع.

4/نقد الدور الحضاري للمثقف العربي:

تناول "شرابي" في كتابه «المثقفون العرب والغرب» وضعية المثقف العربي وعلاقته بالغرب، وفي فترة يصفها بالقلِقة، مثقف تميّز حسبه بالانفصال على واقع مجتمعه، وانصرف عن قضاياه وبالتالي دخول المثقفين العرب في ما يعرف بـ "أزمة المثقف" والتي كانت نتيجة تساءله الدائم عن جدوى ونفع الإنتاج العلمي للمثقف والمتخصص بالنسبة إلى الممارسة والتغيير، ويمكن القول أنّ إجابته لا تختلف عن فكرة "ألتوسير" التي مفادها أنّ ثمة ممارسة على مستوى النظرية، وبعبارة أخرى إذا كان "ماركس" قد أكّد أهمية الممارسة في تغيير الواقع فإنّ الممارسة ممكنة حتى على مستوى النظرية أو على مستوى الفكر، ولا يحصل تغيير المجتمع عن طريق النّضال الطبقي والحزبي فحسب، وإنما يحصل عن طريق تغيير الأفكار الرجعية وطرح أفكار تقدّمية بديلة أيضا وهو يقول في هذا السياق: «إنّ للعمل الفكري، حتى ولو انحصر في الحقل النظري البحت وزنه وفعاليته في الصراع»[30].

فـ "شرابي" نجده لا يعترف بعدم التكافؤ بين الفكر والفعل أو النظرية والممارسة، فهما حسبه متوازيان في إحداث التغيير "فكل فكر يدافع عن مصالح وينافح عن إيديولوجيات وبناء عليه، فإنّ كل فكر يوجد على محك التاريخ ويواجه مصيره التاريخي"[31]، وهذه دعوة صريحة منه إلى مواجهة ذواتنا نحن كعرب. للتخلص من الفكر الرّجعي والبائد الذي تتحكم فيه الأسطورة والخرافة وبطولات الماضي، وللمثقف الحر دور جوهري في محو هذه النظرية الأسطورية للذات وحلّ عقدة الدونية فينا "وأولى الحقائق التي علينا مجابهتها هي حقيقة تاريخنا من دون كذب على النفس وخداع الآخرين"[32] وهذا لا يتأتّى حسبه إلا إذا قمنا بالفصل بين علوم الدين وعلوم الدنيا وتحرير النشاط الفكري من الاعتبارات الدينية والسياسية، وهذا ما فشلت فيه أساسا الحركة

الإصلاحية العربية، ونجده في كتابه «المثقفون العرب والغرب» دائما يركز على ضرورة تكريس العقلانية والروح النقدية والتحليل العملي وهو ما يفتقد إليه المثقف العربي الذي اكتفى بممارسة إصلاح رمزي وخاضع لمؤسسات فوقية، ما جعلهم دائمي الشعور بالدونية والنقص والتوجس من «الآخر الغربي».

إنّ هناك تراجعًا رهيبا للدور الحضاري للمثقف العربي في الفترة الراهنة مقارنة مع السابق، وذلك راجع حسب "شرابي" لعدة عوامل أهمها "أنّ المجتمع العربي أصبح عاجزا على أن يوفّر له المكانة اللائقة به، كما أنّ الأنظمة العربية تفرض على مثقفيها الرقابة الفكرية وهذا ما يدفع المثقف إما للعمل عنده أو للهجرة إلى الخارج، وهذا ما يحدث في أغلب الأحيان، وهذا هو حال هشام شرابي ذاته"[33]، ولهذا فقد اتّسم وضع المثقف العربي في مطلع القرن العشرين بالانحسار "وذلك بأن انتقل المثقف العربي من وهم الإصلاح الديني للأمة العربية بعد سقوط الخلافة العثمانية إلى سراب الوحدة على إثر ثورة أحمد عرابي"[34] وبالتالي انتقال "الفكر في الوطن العربي من وهم إلى سراب"[35]، هذه السّمة التي ميّزت الفكر العربي هي نِتاج ظروف اجتماعية وسياسية وثقافية ميّزت المجتمعات العربية وأثّرت سلبا على المثقف العربي باعتباره مفعِّل هذا الفكر برمّته، وهذا ما خلق لديه نوعا من الحلول الفكرية المغلوطة وقِصر في الأداء الفكري والثقافي داخل هذه المجتمعات.

أما عن مظاهر قصور رؤية المثقفين العرب في التعامل مع المعضلات الفكرية والحضارية وفي القرن العشرين لدى "شرابي" هي مسألة الحساسية المفرطة وتوجّس هؤلاء نحو نُظرائهم الغربيين، فقد نظر المثقف العربي إلى الغرب عموما في مرحلة أولى أنه صليبي، وفي مرحلة ثانية استعماري، وبالتالي كانت مشاريع الإصلاح الديني وأفكار الوحدة والقومية على السواء عاجزة وقاصرة على أن تترجم في الواقع الفعلي، وهذا رُبّما ما يفسّر فكرة «تمزّق وعي

المثقف العربي» في الوقت الراهن، لأنّ الغرب لم يَعُد في وعي المثقف العربي يعني التنوير بقدر ما يعكس هذا الغرب نزوعا نحو الهيمنة وبالتالي إدراكه أنّ الحداثة والتحديث مرتبطان بالإمبريالية، وهذا ما قصده "شرابي" كما ذكرنا، أننا بالحلول الفكرية المغلوطة وقصر الأداء الفكري لدى هذا المثقف، فالإمبريالية شكّلت في وعيه آثارا سلبية سِمتها شعور مرير بالدونية وعقدة نقص عنيفة، ومن ثمّ محاكاة غير مدروسة وغير واعية للمستعمر.

رابعا: شرابي ومعضلة النُقّاد الجدد:

تميّزت طبيعة الفكر الناقد للمجتمع العربي وعبر ثُلّة من النقّاد العرب بنوع من الضبابية في المشكلات والمفاهيم، وهذا ما جعل "شرابي" يشير إلى أنّ "المشكلة الرئيسية التي تجابهها الحركة النقدية العربية تنبع من كون مفاهيمها ومقولاتها الأساسية مستمدة من ثقافة غريبة عن الأجواء الفكرية والقضايا الاجتماعية التي يعمل ويعيش فيها النقّاد والمثقفون العرب، ومن هنا كانت أزمة الحركة النقدية وارتباطها المستمر بالأزياء الفكرية الغربية وتغيراتها وعجزها عن تحقيق استقلالها الذاتي واتّباع خطّها الفكري المستقلّ"[36]، ما تمخّض عنه أنّ معظم كتابات النقاد العرب ومنهم "شرابي" جاءت بلغة أجنبية ويقيمون في بلاد أجنبية، ومحيط غير عربي، ما يجعل هذا الخطاب النقدي موجها إلى طبقة مثقفة بعينها، وهذه الصعوبة التي يجد القارئ نفسه متورطا فيها مصدرها طبيعة الفكر المكتوب في مصطلحاته ودلالته التعبيرية ونظرياته الأساسية.

لهذا كانت ولا تزال معضلة النقاد العرب في غرابة خطابهم النقدي ونخبويته، إلا أنّ "شرابي" انتبه إلى هذه المشكلة وتدارك في مراحل متقدمة من

كتاباته بأن حاول تبسيط المصطلحات النقدية فيها، والتركيز على مقاربة الإشكاليات التي تمسّ الواقع العربي المعيش، وكذا ابتعاده بشكل ملحوظ عن الخطابات النخبوية والانعزالية التي تتبنى تقنيات وتطبيقات فكرية معقدة تحول دون وصولها إلى شريحة واسعة من القراء العرب، فحسب شرابي "فإنّ تعقيد وصعوبة فهم هذا النوع من الخطاب جعل المثقفين يهربون نحو قوى تناولت مشكلات الواقع وتحدياته، قوى استطاعت مخاطبة الإنسان العادي بِلُغة يفهمهاوهي الحركات الإسلامية، هذه الأخيرة رأى فيها بأنها تيار معاكس للحركة النقدية الجديدة، كونها استفادت كثيرا من انكسارات الواقع العربي لا سيما وأنّ مقود الدولة العربية ما بعد الاستقلال كان بيد دُعاة التحديث من الاتجاهات القومية اليسارية"[37].

وعلى هذا الأساس نجد صعود قوى التيار الإسلامي عند "شرابي" تُعدّ نكسة في معايير التيار النقدي "فلم تعد تعتبر الثورة الأصولية إلا عودة لبناء المجتمع الأبوي القديم لأنها قد لا تستطيع إحداث تغيير أساسي في البنية الاجتماعية السياسية القائمة وقد تُبقي على جوهر المجتمع الأبوي الحديث"[38].

وفي سياق ذي صلة يتضح لنا حجم المعضلة التي اعترضت أغلب النقاد والمفكرين العرب حسب شرابي وهي أنهم "نقاد منهجيون أكثر مما هم أصحاب نظريات أصيلة"[39]، والقصد هنا أولئك الذين اقتبسوا من الفلسفات الغربية المعاصرة ،من ماركسية غربية وبنيوية وما بعد بنيوية من أمثال "الجابري" و"أركون" و"العروي" وغيرهم الكثير، فمن هذا المنطلق يحاول شرابي توضيح موقف المثقف والناقد العربي وكيفية تعاطيه مع الأفكار الغربية عموما وما تحمله من خطابات نقدية على وجه الخصوص ،فيجيب بأنه يوافق الناقد العربي في عملية اقتباسه للأفكار الحديثة وما بعد الحديثة ولكن بصورة لا

تغفل خصوصيات الراهن العربي ومن الضروري الانتباه الى تلك الفجوة الحضارية التي تعني بأن الفكر الغربي هو نتاج تطور أو تفكيك داخلي في المجتمعات الرأسمالية الغربية على عكس بعض القضايا التي عالجها الفكر العربي ونقدها كقضايا الدين والديمقراطية وحقوق الإنسان التي لا تمثل عنده سوى ميتافيزيقا، وبالتالي فإن شرابي يرى ضرورة إعادة تفكير نقدي جاد لردم هذه الهوة أو الفجوة الحضارية "من هنا ،فإن عملية النقد الفكري الجادة تتطلب استراتيجية فكرية دقيقة تتناول أكثر من ترجمة الاصطلاحات الغربية وتحليلها الوصفي"[40].

فالمطلوب فضلا عن الاقتباس هضم المصطلح الغربي ،ذلك أن الكثير من المصطلحات منقولة ولم تدخل في أعماق الفكر النقدي ومازالت طافية على وجه اللغة "[41]، فشرابي إذن يقف متحفظا حيال انسياق الفكر العربي المعاصر وراء فكر ما بعد الحداثة من دون هضم فكر الحداثة ومن خلاله انسياق الخطاب النقدي العربي وراء الخطاب النقدي الغربي بشكل غير مناسب.

خاتمة:

كشفت كتابات "هشام شرابي" النقدية طرقا جديدا في التفكير الواقعي، وذلك بأن حمل فكرهُ على العموم آليات جديدة لقراءة الواقع والظاهرة والخطاب، وكيفية النظر إلى المجتمع والحداثة والثقافة والاقتصاد بصيغة جدلية عميقة ودقيقة، ولهذا فإنه يمكن اعتبار "هشام شرابي" عمل على إعطاء النقد صيغة أقوى هي تطبيقيةً بالأساس، أو ما يُعرف في الأوساط النقدية بـ «النقد التطبيقي»، مستخدما هذا النقد في مناهضة الصيّغ النقدية التي تنزع أو تستبدل الوعي النقدي المعارض بالوعي النظري الخالص كالجدلية

والتحليل النفسي، لأنّ مسألة التنويع بين المدارس النقدية الفلسفية منها والاجتماعية في كتاباته تنمّ عن إيمانه على أنه مثقف ومفكّر يمتاز بالوعي النقدي، كونه فلسطيني أولا وناقد ثانيا ومناضل من أجل القضية الفلسطينية والأزمة الحضارية العربية ثالثا، وهو بذلك في كل كتاب يؤلفه يقترب من مجتمعه الغربي ويذوب فيه ليضيء زوايا مجاهيله وأعماقه.

ما يمكن ملاحظته أيضا من خلال تتبع مسارات مؤلفاته من كتب ومقالات في مجالات ثقافية وسياسية من خلال عقود من الزمن من حياته الأكاديمية والفكرية نجده قد كرّس مشروعه الفكري في ترسيخ النقد الحضاري الذي يؤكد في مقدمته أن ولادته (النقد الحضاري) جاءت كنتيجة طبيعية لعقلنة التاريخ ووعي المجتمع الإنساني لذاته مع بروز العقل وبداية عصر التنوير في أواخر القرن الثامن عشر.

الهوامش:

(1)- بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الاسكندرية، ط1، 2006، ص 12.

(2)- أحمد عبد الحميد عطية، النقد الحضاري والإنسان العربي: قراءة في فكر هشام شرابي (ضمن الفلسفة العربية في مائة عام)، أعمال الندوة الفلسفية الثانية عشر للجمعية الفلسفية المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2002، ص ص 511- 512.

(3)- شرقي ميمونة، النقد الحضاري للمجتمع العربي عند هشام شرابي، رسالة ماجستير، فلسفة، جامعة وهران، 2016، ص 186.

(4)- أحمد عبد الحميد عطية، النقد الحضاري والإنسان العربي، ص 512.

(5)- محمد بن سباع، الفكر العربي المعاصر: من مضائق الاستحالة إلى أُفق الإمكان، دار الأيام للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2016، ص 80.

(6)- هشام شرابي، الجمر والرماد: ذكريات مثقف عربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987، ص 20.

(7)- المصدر نفسه، ص 83.

(8)- المصدر نفسه، ص 136.

(9)- هشام شرابي، الرحلة الأخيرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988،ص 74.

(10)- عبد الرحمن بوقاف، منزلة الخطاب التاريخي في الفلسفة التحليلية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2014، ص 80.

(11)- هشام شرابي، الجمر والرماد: ذكريات مثقف عربي، ص 83.

(12)- أكرم سكرية، "في مفهوم المجتمع الأبوي عند هشام شرابي"، مجلة اتّجاه، ع 17، بيروت، 2000، ص 60.

(13)- هشام شرابي، الرحلة الأخيرة، ص 82.

(14)- المصدر نفسه، ص 12.

(15)- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ط3، 1984، ص 11.

(16)- هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1993، ص 19.

(17)- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ص 39.

(18)- المصدر نفسه، ص 41.

(19)- المصدر نفسه، ص 57.

(20)- هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت ,ط2 ,, 1987ص 93.

(21)- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ص 79.

(22)- ابراهيم العبادي، هشام شرابي وأطروحة النظام الأبوي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ع03، بيروت، 1998، ص 203.

(23)- محمد بن سباع،الفكر العربي المعاصر:من مضائق الاستحالة إلى أفق الإمكان، ص 80.

(24)- هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي المعاصر، مجلة اتجاه، العدد17، 2000، ص 80.

(25)- عفيف عثمان، هشام شرابي: إنسانا ومفكرا ومناضلا، مجلة اتجاه ,العدد 17، 2000، ص 81.

(26)- هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي، ص 63.

(27)- المصدر نفسه، ص 196.

(28)- شرقي ميمونة، النقد الحضاري للمجتمع العربي عند هشام شرابي، ص 159.

(29)- هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، ص 10.

(30)-هشام شرابي المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر بيروت، 1981، ط2،ص 13.

(31)- هشام معزوز، هشام شرابي ونقد النظام الأبوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص 24.

(32)- هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، ص 11.

(33)- محمد بن سباع، الفكر العربي المعاصر: من مضائق الاستحالة إلى أفق الإمكان، ص 91.

(34)- عبد العزيز معزوز، هشام شرابي ونقد النظام الأبوي في المجتمع العربي، ص 25.

(35)- هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، ص 73.

(36)- هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، ص 79.

(37)- ابراهيم العبادي، هشام شرابي وأطروحة النظام الأبوي، ص 215 .

(38)-هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ص 123 .

(39)- هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب ، ص 111.

(40)هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، ص25.

(41) المصدر نفسه، ص85.